

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Philippians

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل فيلبي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي

الإصحاح الرابع: كيف نفرح في الرب كل حين؟
"فبدأ يا إخوتي الأحباء والمشتاق إليهم، يا سروري وإكليلي، اثبتوا هكذا في

الرب أيها الأحباء" [1]

- بما أنكم يا إخوتي الأحباء تنتظرون مجيء الرب فلا بد أن تثبتوا في الرب حتى النفس الأخير. ففي وسط السباق يثبت المؤمن في المسيح المصلوب لكي لا ينحرف يميناً أو يساراً، ولا يمكن لكانن أو لحدثٍ أو لظرفٍ ما أن يسحب عينيه عن الجعالة العليا، بل يحيا في السماويات، ويمارس مواظنته فيها. إذ يتحدث القديس بولس الرسول عن سباق وجهاد معركة يدعو المؤمنين إخوته الأحباء **المشتاق إليهم** ليسندهم بالحب والحنو. ففي وسط الآلام يحتاج الإنسان إلى مساندة المخلصين له في الرب. يدعوهم **سروره وإكليله**، ليس فقط لأنه بخلاصهم يتمتع بإكليل سماوي من أجل محبته وجهاده لأجلهم، وإنما كأبٍ حقيقي يرى في سرورهم الأبدي سروره، وفي تمتعهم بالإكليل السماوي تمتعه هو به. ويوصيهم: "اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباء"، لأن ثبوتهم هذا كآته ثبوته هو في الرب.

"أطلب إلى أفوديّة، وأطلب إلى سنتيخي، أن تفكروا فكرًا واحدًا في الرب. نعم أسألك أنت أيضًا يا شريكي المخلص، ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع إكليمنضس أيضًا، وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم في سفر

الحياة" [2 - 3]

- بعد أن قدم الرسالة باسم الكنيسة كلها، شعبًا وكهنة، أوصى أشخاصًا معينين، غالبًا لهم دورهم القيادي. بدأ بسيدتين هما أفودية وسنتيخي، كانتا على خلاف إما فيما بينهما أو بينهما وبين الكهنة أو الخدام. ويرى البعض أنهما كانتا شماسيتين في كنيسة فيلبي. يسألهما أن تتحدا معًا في الفكر في الرب، وأن تعيشا في سلام الرب وفي محبته. يدعوها للوفاق حتى تتمتعوا مع أهل فيلبي بفرح المسيح.

- معنى كلمة أفودية "رحلة مؤقتة" ومعنى سنتيخي "سعيدة الحظ"، وهما خدمتا مثل ليديا غير إنه وقع الاختلاف بينهما وعطلتا عملهما. ثم يوجه حديثه غالبًا إلى تلميذه تيموثاوس أو سيلا (أعمال 15: 40؛ 16: 19) اللذين خدما معه في فيلبي، أو أسقف فيلبي (إكليمنضس) والمسئول عن رعاية الكنيسة فيها. كما اشترك معه في الخدمة فليشترك في حمل النير، فيسند هاتين الشماسيتين. يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن هاتين السيدتين كان لهما دورهما القيادي في الكنيسة، وفي خدمة الإنجيل مع إكليمنضس وباقي العاملين مع القديس بولس.

"افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا افرحوا. ليكون حلمكم معروفًا عند

جميع الناس، الرب قريب" [4 - 5]

- يؤكد القديس بولس أن هدف الرسالة هو الفرح، أفرح الملكوت مستمرة في كل حين... في السعة وفي الضيق، في الراحة وفي الشقاء، في الظروف السعيدة وفي الظروف التعسة، في الغنى العظيم وفي الفقر الشديد، في الصحة التامة وفي المرض القاتل. أفرح الملكوت تمنح القوة لمواجهة المشاكل والآلام.

- كلمة "حلمكم" هنا تحمل معنى اللطف وطول الأناة والرفقة في التعامل وعدم الجدال الجاف والإذعان للغير، فهي تعبير عام شامل.

- الإنسان الحليم يأخذ في اعتباره الآخرين فلا يتصلف في آرائه، بل يسمع وينصت ويقدر الرأي الآخر مادام في الرب. بقوله: "الرب قريب" يكشف أن ما يمارسه الخادم أو المؤمن من حلم ينال مكافأته سريعًا من الرب نفسه الوديع والمتواضع القلب. إنه قادم سريعًا ليكافئ من شاركوه سماته، وحملوا صليبه بفرح. "الرب قريب"... هذه الحقيقة هي حصانة لكل نفس ضد الخطية، لأنه مادام الرب قريب فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إليه؟

"لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" [6 - 7]

- **"لا تهتموا بشيء"**: ليس معنى هذا أن نسلم أنفسنا للإهمال والكسل، ولكن القصد طرح هموم الحياة عنا، وإن لا نتحزب أو نرتبك أمام هموم الحياة والتجارب المختلفة، لأن سلام الله قادر أن يحفظ قلوبنا **"بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر"**: الصلاة هي الطريق الوحيد إلى الراحة الحقيقية، وفي كل مرة نصلي بإيمان نشعر إن الله قريب منا يسمعنا ويستجيب دعاءنا. - الصلاة تشمل التسبيح والسجود والشكر والطلب، أما الدعاء فهو الطلب، وكليهما يجب أن يقرنا بالشكر لأن تقديم الشكر يسر الله ويريح قلوبنا. - **"تتعلم طلباتكم لدى الله"**: الله يعلم كل شيء، ولكن بحرية ارادتك تطلب وبإيمان تتوقع الاستجابة إما بالإيجاب أو الرفض أو الانتظار. **"سلام الله"** هو عطية مجانية مقدمة للنفس التي تلقي رجاءها عليه فلا تضطرب، بل في وقت الضيق تصلي وتطلب وتشكر أيضاً. فتنتفتح أبواب السماء ويقبض عليها السلام الإلهي الفائق للعقل، والقادر وحده أن يحفظ القلب والفكر في المسيح يسوع.

"أخيراً أيها الإخوة كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو ظاهر، كل ما هو مسر، كل ما صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح، ففي هذه افكروا" [8]

- إذ يملك الرب في الداخل ويقيم سلامه الفائق، تتحول طاقات الإنسان كلها للتأمل والتفكير فيما هو للرب وحده، مثل: 1- الحق. 2- الجلال والوقار. 3- العدل. 4- الطهارة. 5- السرور والفرح. 6- السمعة الحسنة. - يقول القديس اغريغوريوس النيسي: [تعلمنا كلمات النشيد الآتية عن التغذية التي يقدمها الراعي الصالح لرعيته فلا يدع غنمه تدخل الصحراء أو الأماكن الممتلئة بالأشواك لترعى، بل يقدم التوابل العطرية بالجنة كغذاء. وبدلاً من مرعى العشب يجمع لها الراعي السوسن لتغذيتها... يعلمنا كلمة الله الأمثلة، لأننا نرى أن طبيعة القوة المهيمنة على كل شيء ترتب مكاناً لهؤلاء الذين يستقبلونه بنقاء وطهارة. وهم يملكون حديقة مليئة بنباتات كثيرة مختلفة مزروعة بالفضائل. وينميهم العريس بقوة بواسطة السوسن المزدهر، ويمتلئون بثمار التوابل العطرية... يرمز السوسن للفكر النقي المضيء، ورائحته الجميلة لا تتفق مع رائحة الخطية الرديئة. لهذا يختار لنا بولس العظيم السوسن لغذائنا من بيت الغذاء المقدس: فقلوه **"كل ما هو حق..."**، هذا هو في رأي السوسن الذي يغذى به الراعي الصالح والمعلم العظيم قطيعه.]

- يقول الأب ماريرس فيكتورينوس: **"كل ما هو حق"**: ما هذه الأمور التي هي حق؟ إنها تلك التي يبنيها الإنجيل: يسوع المسيح ابن الله، وكل ما يدور حول الأخبار السارة. عندما تكون أفكارك حق يتبع ذلك أنها تكون **جليّة**. ما هو حق لا يكون فاسدًا، وهذا يعني أنها مكرمة. ما هو ليس بفساد هو حق. **لذلك ما هو حق وجليل هو أيضًا عادل** أو يحقق العدالة. **وما هو عادل فهو ظاهر**، إذ يتقبل التقديس من الله. كل ما هو عادل وجليل وحق وظاهر فهو **مُسِر** (محبوب) ولطيف. لأنه من لا يحب هذه الفضائل المقدسة؟ ... تتعلق بعض البنود من هذه القائمة بالفضيلة الحقيقية ذاتها، بينما البنود الأخيرة تخص ثمر الفضيلة. ما يخص الفضيلة هو الحب والحق والكرامة (أي ما هو جليل) والعدل والطهارة. وما يخص ثمر الفضيلة أنه مسر ولطيف.

- **"كل ما هو جليل"**: إذ يدرك المؤمن مركزه كابن لله لا يستطيع أن يفكر إلا في كل ما هو لائق بكرامته في الرب، أي فيما يتسم بالجلال والوقار، الأشياء ذات المهابة والقداسة وليس في الأشياء التافهة. إذ نلنا حرية مجد أولاد الله (رومية 8: 21)، فلا نفكر ولا نعمل إلا بما يليق بمركزنا الجديد في الرب، مجدنا الداخلي. وكما يقول الرب نفسه: **"وأكون مجددًا في وسطها"** (زكريا 2: 5).

"وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه في، فهذا افعلوا، وإله السلام يكون معكم. ثم أني فرحت بالرب جدًا، لأنكم الآن قد أزهروا أيضًا مرة اعتناؤكم بي، الذي كنتم تعتنون به، ولكن لم تكن لكم فرصة" [9 - 10]

- مع توصيتهم كتابة، يوصيهم الرسول بلغة التسليم أو التقليد والاقتداء به. فلا يكفي ما تعلموه من القديس بولس كتابة أو شفاهًا، وإنما أيضًا ما تسلموه وما رأوه فيه في حياته العملية، هذا يلتزمون به، لأنه يقدم إنجيل السيد المسيح، فيكون معهم إله السلام. الإله الذي هو مصدر السلام الداخلي، والمحب للسلام، والحافظ له في كل الظروف، فهو معهم وفيهم.

- يكن القديس بولس بالامتنان والشكر لأهل فيلبي من أجل عنايتهم به، متهللاً بالرب الذي وهبهم هذا الحب والحنو، وقد ترجمت العطية إلى عمل كلما سنحت لهم الفرصة للتعبير عنها.

- وهنا نأتي إلى الجزء الأخير من الرسالة والذي قد يكون أحد الأسباب الهامة لكتابة الرسالة، ويتناول هذا الجزء شكره وتقديره لأهل فيلبي على محبتهم وازدهار الفضيلة في حياتهم ومعونتهم له وقبوله لهذه المعونة والطلب من الله ليعوضهم أجرًا صالحًا سمانيًا حسب غناه في المجد.

"ليس إنى أقول من جهة احتياج، فإنى قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتضع، وأعرف أيضاً أن أستفضل في كل شيء، وفي جميع الأشياء قد تدرّبت أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص" [11 - 12]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: **"ليس إنى أقول من جهة احتياج" لنلا يظن أحد إنه قبل العطية ويطلب المزيد، ففي عُرف بولس إن الخدمة ليست طريقاً للكسب، ولا للفائدة الشخصية، ولكن هنا بسبب محبته الشديدة لأهل فيلبي، وأيضاً بسبب الاحتياج قَبْلَ معونة أهل فيلبي "تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه".**

استخدم بولس لفظ الاكتفاء للتعبير عن الفتاعة. يقصد الاكتفاء، وليس الشراهة. [

- يشرح القديس بولس أن نعمة الله الفائقة تهب المؤمن أن يمارس حياة التواضع كشركة مع ربنا يسوع في تواضعه، وأن يشعر بفيض عطايا الله عليه، فلا يشعر بالاكتفاء فقط، وإنما بالشوق الحقيقي للعطاء بلا توقف، كما يقول: **"كحزاني ونحن دائماً فرحون، وكفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء" (2 كورنثوس 6: 10).**

- يحمل طبيعة العطاء فيفيض حباً وحنواً وسلاماً وعطاء مادياً ونفسياً وروحياً. وفي هذا كله يعرف أن يتواضع، لأنه يدرك أن ما يقدمه ليس من عنده، بل هو عطية الله له لأجل إخوته.

"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني. غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقتي" [13 - 14]

- ما كان يمكن للقديس بولس أن يتمتع بهذا الشعور الداخلي بالشبع ولا أن يفيض على الغير بذاته، إنما هي قوة السيد المسيح العاملة فيه. لذا يسبحه قائلاً إن **"المسيح يحيا في" (غلاطية 2: 20).**

- مع تمتعه بعطية الاكتفاء وعدم الاحتياج إلى أحد، لكنهم يستحقون المديح لأنهم شاركوه آلامه واحتياجاته. شهوة قلبه أن يرى الكل مملوء حباً، لكن ليس عن طمع من جانبه ولا لكي ينال شيئاً من أحد. لقد شاركوه آلامه بالحب وعبروا عن هذا بالعطاء وسط ضيقاته.

- **"غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقتي"...** من العادة عندما نكتب رسالة شكر إلى أحد نذكر هذا الشكر في رأس الرسالة، لكن بولس الرسول ترك شكره حيث ختم به رسالته... لماذا؟ لأنه يريد أن يعطيهم الدروس الروحية أولاً ويأتي بهم إلى الفرح ثم يقدم شكره لهم.

- **"فعلتم حسناً"** فالقديس بولس يقدر تعب محبتهم وتصرفهم بشهامة وكرم ونبيل إذ **"اشتركتم في ضيقتي"** أي في العوز والشدة والحاجة التي كنت أعاني منها في سجنى.

"وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيّون، أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من
مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم.
فإنكم في تسالونيكي أيضاً، أرسلتم إليّ مرّة ومرّتين لحاجتي. ليس أني أطلب
العطيّة، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم" [15 - 17]

- في بدء كرازته في مكدونية لم تشترك كنيسة ما في احتياجاته أثناء كرازته سوى
الكنيسة التي في فيلبي. لم يساهموا في احتياجاته عندما كان في فيلبي فقط، وإنما
أرسلوا إليه حين ذهب إلى كورنثوس (2 كورنثوس 11: 8 - 9).
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إذ كان ينشئ الكنيسة في تسالونيكي كان يسدّد
احتياجاته هو ومن معه جزئياً بعمل يديه (1 تسالونيكي 2: 9؛ 2 تسالونيكي 3: 7 -
9)، والباقي بالمعونة التي ساهمت بها الكنيسة في فيلبي. هنا أيضاً مديح عظيم، إذ
وهو قاطن في العاصمة قامت مدينة صغيرة (فيلبي) بتقديم القوت له... يوجد فرق بين
من كان في عوز ولا يطلب شيئاً، وبين من يكون في عوز ولا يحسب نفسه أنه في
عوز. يقول: "ليس أني أطلب العطيّة، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم". لست أطلب
ما هو لي. هل ترون أن الثمر صادر منهم؟ يقول: هذا أقوله لأجلكم، وليس من أجلي،
وإنما لخلاصكم. فإني لست أربح شيئاً عندما آخذ، إنما النعمة بتمتع بها الذين
يعطون، والمكافأة في مخزن المُعطين، أما العطايا فيستهلكها الذين يستلمونها هنا.]

"ولكني قد استوفيت كل شيء واستفضلت، قد امتلأت، إذ قبلت من أبفروتس
الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة، ذبيحة مقبولة مرضية عند الله.
فيملاً إلهي كل احتياجاتكم بحسب غناه في المجد، في المسيح يسوع. والله أبينا
المجد إلى دهر الداهرين. أمين" [18 - 20]

- يعبر القديس بولس عن سخاء أهل فيلبي إذ قدموا ليس فقط احتياجاته بل وما فضل
عنه، فامتلاً لا بالعطاء بل بنسمة الحب القادمة من قلوبهم، واشتم عملهم ذبيحة
مقدمة لله وليس للقديس بولس، ذبيحة مقبولة موضع سروره.
- إذ كالوا للقديس بولس بكيل الحب الفائض يكيل لهم الله حسب غناه ليتمتعوا بأمجاد
سماوية بفيض في المسيح يسوع ربنا. لم يتركوا القديس بولس في عوز، فلن
يتركهم الله في احتياج إلى شيء. لا يستطيع القديس بولس أن يوفي لهم الدين، لكنه
قدم الصك لمرسله الرب يسوع المسيح الذي وحده قادر أن يفي عن رسله وتلاميذه.
- "حسب غناه": يعطي الفقير حسب فقره القليل، ويعطي الغني حسب غناه الكثير،
والملك يعطي حسب عظّمته أكثر، فما بالك بملك الملوك إذا وهب؟! "المجد": صفة
ملازمة لله منذ الأزل وإلى الأبد. فالله مجد من ذاته لا يستمد مجده من أحد. "أبينا":
نحن نتعامل مع أب، عينه علينا يشعر بكل احتياجاتنا ويهتم بنا. هذا الحب المتبادل
بين القديس بولس وأهل فيلبي يمجّد الله أب الجميع الذي يفرح بعمل نعمته فيهم.

"سَلِّمُوا عَلَى كُلِّ قَدِيسٍ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، يَسَلِّمُ عَلَيْكُمْ الْإِخْوَةَ الَّذِينَ مَعِيَ. يَسَلِّمُ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ الْقَدِيسِينَ، وَلا سِيَّامًا الَّذِينَ مِنْ بَيْتِ قَيْصَرَ. نِعْمَةٌ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ " [21 - 23]

- يود من الكنيسة أن تبلغ كل عضو عن تحياته والعاملين معه له شخصيًا، حاسبًا رسالته هذه مقدمة للكنيسة ككل كما لكل عضو فيها كرسالة خاصة به.
- يرى في شعب فيلبي قديسين كما أيضًا في شعب روما، حتى المسيحيين في قصر نيرون كانوا في عينيه قديسين يقدمون تحياتهم ومحبتهم لقديسي الكنيسة في فيلبي. "من بيت قيصر" ليس المقصود نيرون وأسرته ولكن المقصود بعض رجال الحرب وموظفو القصر الذين آمنوا. إنه يرفع من نفسياتهم ويقويهم بأن يظهر لهم أن كرازته قد بلغت حتى إلى بيت الملك. فإنه إن كان أولئك الذين كانوا في قصر الملك استخفوا بكل شيء من أجل ملك السماء، كم بالأكثر يليق بهم أن يفعلوا ذلك.
- هذا دليل أيضًا علي حب بولس وأنه أخبر عنهم بأمر كثيرة عظيمة حتى أن الذين في القصر قد اشتاقوا إليهم، والذين لم يروهم قط يسلمون عليهم. لا يجد في أغلب رسائله ما يختم به حديثه سوى تقديم ربنا يسوع المسيح لمحبيه المرسل إليهم الرسالة. هذا أعظم ما يشتهي لكل إنسان! تبدأ الرسالة بالنعمة وتنتهي بها... النعمة هل عمل الله مع النفس البشرية التي لا تستحق هذه النعمة.

